ضيق الحال فيه، لأنه قد يضيق المحل وتكون النفس منشرحة . . . ثم ثالثًا: لما يئسوا من الخلق، علقوا أمورهم بالله وانقطعوا إليه وعلموا أنه لا يخلص من الشدة ولا يفرجها إلا هو تعالى»[1].

وكانت آية الله المنبهة لهم، والدافعة إلى التوبة ـ كما يفهم من ترتيب الأحداث ـ هي تخليفهم عن قبول توبتهم[2] مع الثمانين الذين استغفر الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، وقبل منهم، بينما أرجأ هؤلاء الثلاثة «إلى أن يقضي الله» كما جاء في حديث كعب بن مالك[3].

أما في الثانية، فيختلف ترتيب سرد الأحداث ولا ينفي هذا الاختلاف تشابُهَ الأسلوب:

إذ تذكر آية الله المنبهة لنَبيِّه داود أولاً، وهي قصة الخصمين:

﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب. إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط. إن هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم...﴾[4].

«فتنبه داود، إلى أنهما يريدانه بهذا التلويح وهذه الكناية، وهذا التمثيل[5] ثم يأتي بعد ذلك ذكر التوبة والمغفرة بتفصيل وصف التوبة كما في آية المخلفين كذلك:

﴿فظنَّ داود أنما فتنَّاه﴾.

﴿فاستغفر ربه﴾.

﴿وخرَّ راكعًا وأناب﴾.

---

(١) البحر المحيط، ج٥، ص٥٢٠.

(٢) ذكر ابن حيان في تفسير قوله (خلفوا) خلافًا بين العلماء مداره متعلق الفعل خلفوا، فهل خلفوا عن الغزو أم عن قبول التوبة. ولعل الأرجح معنى أنهم قد خلفوا عن قبول توبتهم، لأن الفعل في الآية مبني للمجهول (للمفعول)، وهم قد تخلفوا عن الغزو بإرادتهم، بينما خُلِّفوا عن قبول التوبة بإرادة غيرهم؛ ومن قواعد الدلالة على كل حال أن العناية في المبنى للمجهول بالحدث ذاته لا بفاعله، فالمراد باستعمال هذه الصيغة صرف النظر عن الفاعل والمفعول إلى الحدث.

(٣) حاشية الجمل على تفسير الجلالين، المكتب الثقافي، القاهرة (د.ت) ج٢، ص٢٢٥ و ٢٢٧.

(٤) ص. ٢١ - ٢٤.

(٥) حاشية الجمل، ج٣، ص٥٦٩.